دراسة الأديان في المنظور القرآنيّ
منطلقات ومفاهيم أوليّة*

عبد الرزاق عبد الله حاش**

ملخص البحث

إلى جانب الحديث عن الملل والعقائد الدينيّة ومكوناتها الفكريّة والإيمانيّة، تضمنت الآيات القرآنيّة الحديث عن الأسس العقديّة والخلقيّة لتلك الأديان، كما تضمنت ضوابط التّعامل وأسس التّعايش مع تلك المعتقدات وأهلها، سواء أكان ذلك فيما يتعلق بالتّعايش مع الآخر على المستوى الاجتماعيّ من تزاوج وتجارة، أم على المستوى المعرفيّ من حوار ثقافيّ وفكريّ، بمنهج موضوعيّ تحليليّ، تضمن هذا البحث محورين أساسيين، وهما: دراسة المفاهيم والمصطلحات المعرفيّة التي وردت في الآيات القرآنيّة عن الفكر الدينيّ والسلوك الثقافيّ للمجتمعات الدينيّة. ومنطلقات التعامل مع الآخر وتراثه العقديّ.

الكلمات المفتاحيّة: دراسة الأديان، منطلقات، مفاهيم، حوار ثقافيّ، منظور قرآنيّ

Abstract

The Qur’an, which is the founding Scripture of Islam, offers some fundamental concepts, frameworks and moral guidance of how to study religion and religious communities. Besides addressing various religious scriptures and holy texts (*suhuf and kutub*), faiths and beliefs (*iman and ‘aqa‘id*), rituals and social laws (‘*ibadat and shara’*), way of life and cults (*mansakan wa manhajan*) and historical events and narratives (*al-anba’ wa al-qasas*), the Qur’an provides conceptual framework and moral guidance of how to deal with religious faiths and their communities. This paper uses analytical method to expose the Qur’anic account of the study of religion. It consists of two themes; the first theme addresses the basic terms and concepts of the Qur’an about religious faiths, while the second theme highlights the ethical and moral frameworks of how to deal and interact with religious communities and their religious heritages.

Keywords: study of religions, concepts, principles, intellectual dialogue, the Qur’anic perspective

---

* تفاصيل الأفكار الأساسية لهذا الموضوع في كتابنا، **علم مقارنة الأديان من منظور إسلامي: المفهوم والمنهج**، الذي سينشر قريبًا بإذنه تعالى.

** أستاذ مساعد بكلية العلوم، الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، E-mail: hashi@iium.edu.my

الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا
مجلة الإسلام في آسيا
العدد الخاص الثالث، سبتمبر 2011م

Abstrak

Al-Quran, iaitu kitab suci pengasas Islam, menawarkan beberapa konsep asas, rangka kerja dan bimbingan moral tentang bagaimana untuk belajar agama dan komuniti beragama. Selain daripada menyerlahkan pelbagai kitab-kitab agama dan teks-teks suci (suhuf dan kutub), agama dan kepercayaan (iman dan 'aqa'id), upacara dan undang-undang sosial ('ibadat dan Shara'), cara hidup dan kultus (mansakan wa manhajan) dan sejarah peristiwa dan riwayat (al-anba 'wa al-Qasas), al-Quran menyediakan konsep rangka kerja dan bimbingan moral tentang bagaimana untuk berurusan dengan agama dan kepercayaan dan komuniti mereka. Karya ini menggunakan kaedah analisis untuk mendedahkan penggunaan al-Quran sebagai pengajian agama. Ia terdiri dari dua tema, tema pertama menyerlahkan terma asas dan konsep al-Quran mengenai agama dan kepercayaan, manakala tema kedua menekankan rangka kerja beretika dan bermoral tentang bagaimana untuk menangani dan berinteraksi dengan masyarakat agama dan warisan agama mereka.

Kata Kunci: Pengajian Agama, Konsep, Prinsip, Dialog Intelek, Perspektif al-Quran

مفاهيم معرفيّة عن الفكر الدينيّ وردت في القرآن الكريم

وردت في القرآن الكريم مصطلحات ومفاهيم تحمل في طياتها معانيَ تتعلق بالفكر الدينيّ، وسلوكيّات المجتمعات الدينيّة وتعاليمهم المعرفيّة، مثل: الكتب (scripture)، والصحف(treatise)[1]، والإيمان (faith)[2]، والعبادات (worship)[3]، والشرائع (social order)[4]، والمناهج والمناسك (way of life)[5]، وقصص الأنبياء (stories of Prophets) ومناهجهم الإصلاحيّة وأنماط الحياة الاجتماعيّة التي تعامل بها الأنبياء والرسل.

---

[1] انظر الآيات القرآنية التي ورد فيها لفظ "الكتاب" في معرض الحديث عن الأديان الأخرى، في البقرة: 53، وآل عمران:19–20، 23، والنساء:24، 47، 136، وغيرها من الآيات القرآنيّة التي تذكر لفظ الكتاب إشارة إلى النصّ الديني المقدس. وأما لفظ الصحف فإنه ورد في آيات عديدة في القرآن الكريم، منها سورة الأعلى:18–19، وطه:138، وغيرها من السور.

[2] ولفظ الإيمان تكرر ذكره في القرآن الكريم في سور متعددة سواء أفي سياق الإيمان بالله تعالى وحده، أم في سياق الإيمان بالجبت والطاغوت، أم في سياق الزيادة وتقوية الإيمان بالله تعالى؛ وكلها تحمل مفهوم الاعتقاد، سواء أكان ذلك عن طريق الوحي الإلهي، أم عن سبيل الهوى وعناد الحقّ وإنكاره.

[3] وصف القرآن الكريم الأعمال (كل الأعمال) التعبدية والشعائرية عبادة، ولكن القرآن الكريم قسمها إلى عبادة محرّمة تؤدي صاحبها إلى الهلاك لكونها صرفت لغير الله تعالى، وعبادة صحيحة وهي الخضوع لله تعالى وحده دون سواه.

أولاً: لفظ الكتاب؛ في معرض الحديث عن المعتقدات والأديان، تكرر لفظ "الكتاب" أو "الكتب" في القرآن الكريم مع لفظ "النُّزول" منسوبًا إلى الله في أغلب الأحيان، خاصة عند الحديث عن الدين الموحى به من الله تعالى، من توراة وإنجيل وزبور وقرآنٍ، كما في قوله تعالى: ﴿وهذا كتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه﴾ [الأنعام:155]، وصفه (الله) بهذا الوصف لبيان أنه مما ينبغي أن يكتب؛ لأنه أجل الحكم، فاتبعوه، اعتقدوا صحته، واعملوا به وكونوا من أتباعه"[6]. وقوله تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلاً لِّكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُواْ بِأَحْسَنِهَا سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ﴾ [الأعراف:145]، أي كتبنا له (موسى ﵇) في الألواح ... مما يحتاج إليه في دينه من الأحكام وتبيين الحلال والحرام[7]. وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ [الأنبياء:105]، إشارة إلى الكتاب المنَزَّل على نبي الله داوود ﵇ الذي تضمن التعاليم الإلهية المنَزّلة. وفي معرض الحديث عن صلة النصارى بالظاهرة القرآنيّة: ﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَؤُونَ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءكَ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ

---

[4] ذكر لفظ الشريعة في القرآن الكريم بأشكال مختلفة، مثل: "شرع"، و"شرعة"، للحديث عن الأحكام الشرعية الموحى بها من الله تعالى التي تنظم الحياة الاجتماعية للمجتمع.

[5] ذكر لفظ المنهج والمنسك للإشارة إلى الجانب الشعائريّ للطقوس الدينيّة، وورد ذكرها في القرآن، كما في سورة المائدة:48، وفي سورة الحجّ: 34 و67.

[6] أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن** (بيروت: مؤسسة الأعلميّ للمطبوعات، 1995م)، ج4، ص197-198.

[7] أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن** (بيروت: دار الكتب العلمية، ط2، 2004)، ج7، ص179.

فَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ [يونس:94]؛ حيث إن الكتاب الذي أنزل على عيسى في جوهره يحتوي على ما جاء في القرآن الكريم، لكنّ ذلك لا يعني أن التراث المسيحيّ هو المصدر الذي يستقي منه المسلمون معارفهم الدينية. وجاء مفهوم الكتاب المنسوب إلى الله واضحاً في سورة أخرى بقوله: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ...﴾" [المائدة:48]، أي أنزلناه بتصديق ما قبله من كتب الله التي أنزلها إلى أنبيائه، وذلك إشارة إلى الكتب المقدسة التي جاءت قبل القرآن، وإن كان القرآن الكريم قد تضمن تعاليمها وأحكامها بشكل أدق وأوسع.

وهنا يقدم القرآن الكريم نفسه بأنه جزء من سلسلة الكتب التي أنزلت من رب العالمين، لكنّه يحتل منْزلة الخلاصة والختام لهذه الكتب، لكونه مصدّقًا لما جاء في تلك الكتب من تعاليم عقديّة وفكريّة صحيحة ومهيمنًا عليها، "أي أمينًا عليها، حافظًا لها"[8]. وعليه، فإن:

1. تكرار لفظ الكتاب في القرآن الكريم في معرض الحديث عن الأديان الأخرى، له دلالات معرفيّة تومئ إلى إمكانيّة التعرّف على الآخرين من خلال دراسة المكتوب والمقروء في ثقافتهم، وتحديد الفرق بينهم وبين الإسلام.

2. الإشارات المتكررة في القرآن إلى الصلة بين القرآن والكتب المنَزّلة على الأنبياء السابقين قبل تحريفها من توراة، وإنجيل وزبور، توحي إلى إمكانيّة دراسة الثّقافة الدينيّة لتلك المجتمعات من أجل معرفة تفاصيل تلك الانحرافات، وكيفيّة تأثيرها في المعتقدات أو الأفكار الدينية السائدة لدى تلك المجتمعات.

ثانيًا: **لفظ الصحف**؛ لقد ورد لفظ "الصّحف" في القرآن الكريم، خاصة في معرض الحديث عن التتابع الرساليّ للوحي. ويطلق لفظ "الصحف" في اللغة

---

[8] المصدر السابق، ج6، ص136-137.

على كل سطح رقيق يكتب عليه، والجمع صحائف وصُحُف وصُحْف، والمصحف (بكسر الميم وضمِّها وفتحها) هو الجامع للصحف المكتوبة بين دفتين[9]. ورد ذكر الصحف في مواضيع عديدة من القرآن مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الأُولَى صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى﴾ [الأعلى:18-19]. والآية وردت في أن الآخرة خير من الدنيا وأبقى، وهو -كما قال قتادة- أمر: "تتابعت كتب الله جل ثناؤه —كما تسمعون- أن الآخرة خير وأبقى من الدنيا"[10]. وتفيد الآية الرابط الأخلاقيّ الذي بين الأديان المَنَزَّلة من الله تعالى، حيث إن تزكية النّفس، وذكر الله تعالى، وخيريّة يوم القيامة من الدنيا، ليست تعاليم أتى بها الإسلام دون غيره من الرسالات الإلهيّة، بل هي تعاليم تضمنتها الرسالات الإلهية الأولى، مثل: ﴿صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى﴾ [الأعلى:19] أي إن معنى هذا الكلام وارد في تلك الصحف.

وفي قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْلا يَأْتِينَا بِآيَةٍ مِّن رَّبِّهِ أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِي الصُّحُفِ الأُولَى﴾ [طه:133]، أي الكتب التي خلت من الأمم التي يمشون في مساكنهم. يقول الطبري في تفسيره: "أو لم يأتهم بيان ما في الكتب التي قبل هذا الكتاب من أنباء الأمم من قبلهم التي أهلكناهم لما سألوا الآيات، فكفروا بها لما أتتهم كيف عجلنا لهم العذاب، وأنزلنا بأسنا بكفرهم بها"[11]. وفي قوله تعالى عن المسؤولية الخلقيّة للفرد عن أفعاله حيث لا تحمل وازرة وزر أخرى: ﴿أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى أَلاَّ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى، وَأَن لَّيْسَ لِلإِنسَانِ إِلاَّ مَا سَعَى﴾ [النجم:36-38]، أي لا تؤخذ نفس بدلاً عن أخرى.

---

[9] ابن منظور، **لسان العرب**؛ مادة (صحف).

[10] القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ج20، ص18.

[11] الطّبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، ج16، ص237.

والذي يهمنا من هذا السياق في هذا البحث هو قوله تعالى: ﴿أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى، وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى﴾ [النجم:36-37] أي أن هذه التعاليم التي جاء بها القرآن جاءت أيضًا في الكتاب المنَزّل على موسى، وجاءت في صحف إبراهيم، عليهما السّلام.

ويدل سياق هذه الآيات وغيرها في القرآن الكريم التي تضمنت لفظ الصّحف على الآتي:

1. إن الذي جاء في هذه السّور وغيرها من سور القرآن، من الإيمان بالله تعالى واليوم الآخر، والخلق الحسن وتزكية النّفس، جاء أيضًا في الصحف الأولى التي أنزلت على موسى، ووردت في صحف إبراهيم وغيرهم من أنبياء الله. وفي ذلك تأكيد على التّتابع والتّناسق العقديّ والإيمانيّ بين الرسالات السماوية.

2. يستفاد من سياق الآيات بيان أهمّيّة معرفة ما جاء في الكتب الأولى من أنباء وقصص وبيّنات عقديّة من باب المطالعة والقراءة، يعني من باب قوله تعالى: ﴿أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ﴾ [النجم:36] وقوله أيضًا: ﴿أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِي الصُّحُفِ الْأُولَى﴾ [طه:133]. وغني عن البيان أن معرفة الأنباء والبيّنات التي جاءت في الصحف الأولى عمليّة تتطلب جهدًا فكريًّا ومعرفيًّا، ومزيدًا من التأهيل والتحصيل العلميّ، مثل تعلم لغات الآخرين وتاريخهم، كما تتطلب اختيار الأسس المنهجيّة المنطقيّة المشتركة للبحث والدراسة عن ما في الصحف الأولى.

ثالثًا: الأمم والأقوام؛ تحدث القرآن الكريم عن "الأمم وثقافة الأقوام" التي عاشت قبل الإسلام، مثل: قوم نوح، وقوم هود، وعاد وثمود، وقوم إبراهيم ويعقوب، وموسى وأخيه هارون وقومهم-بني إسرائيل[12]، وقوم لوط[13]،

---

[12] يونس: 90.

[13] الذاريات: 36.

وعيسى ابن مريم وحوارييه من النصارى[14]، والفراعنة (الحضارة المصرية)، وغيرهم.

والذي يهمنا من ذلك في هذه الدراسة هو أن حديث القرآن عن تلك الأقوام وأديانهم اشتمل على عدة أمور، منها:

1. ذكر الأنماط الأخلاقيّة والسلوكيّات الاجتماعيّة التي سادت في تلك الشّعوب، والتي كانت سببًا؛ إما لرقيّها الحضاريّ، مثل: العدالة، والمساواة الاجتماعيّة، والمعرفة والعمل، أو الأنماط الأخلاقيّة التي أسهمت في انحطاطها مثل الظلم؛ حيث يتحدث القرآن مرةً عن الفساد الأخلاقيّ الذي ساد في حضارة مّا، مثل: الغش، والخيانة، والفسق، والتّرف، والكبر، وانتشار الشذوذ الجنسي؛ ومرة أخرى يتحدث عن الظلم الاجتماعيّ والسياسيّ في بعض الحضارات، مثل: انتشار الطبقيّة، وجعل الناس شيعًا يستضعف بعضهم بعضًا.

2. ذكر القرآن الكريم أنماط المعتقدات الفكريّة والمعرفيّة لبعض الأمم والحضارات التي كانت قبل الإسلام، مثل:

أ. التفكير الوثنيّ، الذي يقدس الأصنام، ويعبد غير الله تعالى، كما هو الحال في مملكة سبأ التي كان قومها يعبدون غير الله تعالى: ﴿وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لا يَهْتَدُونَ﴾ [النّمل: 24].

ب. التفكير الآبائي، الذي يهمش الذّات ويقدّس القديم، كما في قوله: ﴿بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا ءابَاءنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى ءاثَارِهِم مُّهْتَدُونَ﴾ [الزخرف: 23].

ت. التفكير التمييزيّ والصفويّ الذي يقدس عرقاً أو جنس معين من الناس دون غيره، ويدعي أصحابه بأنهم شعب الله المختار، كما قال اليهود

---

[14] آل عمران: 52.

بأنهم: ﴿أَبْنَاء اللهِ وَأَحِبَّاؤُهُ﴾ [المائدة: 18]، وقولهم: ﴿لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلاَّ مَن كَانَ هُوداً أَوْ نَصَارَى﴾ [البقرة: 111].

ث. تفكير "الجحود والإلحاد" بعد معرفة الحق وتيقنها، كما في قوله: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [النمل: 14].

هذه بعض الأنماط الفكريّة التي ذكرها القرآن بإيجاز، ومعرفة تفاصيلها وفروقها الجوهريّة من أمة لأخرى، -في رأينا- متروك للدّراسات العلميّة للأديان من أجل الاستكشاف والتعرّف على المجتمعات الأخرى والأمم السابقة.

3. ما جرى بين الأنبياء (عليهم السّلام) وبين أقوامهم من سجال كلاميّ وحوار فكريّ وعقديّ، والمشقّة التي تلقاها الأنبياء في سبيل الإصلاح الاجتماعيّ وتقويم الانحراف الفكريّ. وينقل القرآن الكريم إلينا تفاصيل هذا الحوارات وما رافقها من تعنّت وتكبر وجحود من قبل الأقوام، مقابل التزام الأنبياء بأدب الحوار وحسن الإلقاء والمجادلة بالتي هي أحسن.

وحديث القرآن عمّا جرى بين الأنبياء وأقوامهم مفيد في هذا المجال من وجهين:

الوجه الأول: هو أن القرآن الكريم يرشدنا إلى أدب الحوار مع الآخر ودّراسة مورثه الثقافيّ، وذلك من خلال عرض هذه الأحداث والوقائع التي تمت بين الأنبياء وأقوامهم، وهذا مفيد للغاية علماً أن الصعوبات التي حول دراسة الموروثات الدينيّة، وما يرافقها من حساسيّة، يتطلّب منا صياغة منهج معرفيّ وفكريّ لمعالجتها بشكل يتطابق مع مرتكزاتنا العقديّة والفكريّة.

الوجه الثاني: هو ضرورة التّواصل الحضاريّ مع الآخر، وضرورة الإعداد المعرفيّ والثقافيّ لها قبل الخوض في غمارها.

رابعًا: الحقّ والباطل؛ ورد في القرآن الكريم آيات عقد فيها القرآن المقارنة بين الحق والباطل، داعياً إلى ضرورة تمييز الباطل من الحق، كما في قوله تعالى: ﴿أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [يوسف:39]، "أي أآلهة شتى لا تضر ولا تنفع "خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ"، الذي قهر كل شيء؟ والسؤال هنا موجه لأصحاب السّجن الذي كان فيه نبي الله يوسف-عليه السلام، أي "أعبادة أرباب شتى متفرقين وآلهة لا تنفع ولا تضر خير، أم عبادة المعبود الواحد الذي لا ثاني له في قدرته وسلطانه، الذي قهر كل شيء"[15].

وفي سورة النّمل: ﴿ءاللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [النّمل:59] أي: قل يا محمد لهؤلاء الذين زيّنا لهم أعمالهم من قومك فهم يعمهون: أآلله الذي أنعم على أوليائه هذه النّعم التي قصها عليكم في هذه السّورة، وأهلك أعداءه بالذي أهلكهم به من صنوف العذاب التي ذكرها لكم فيها خير، أم ما تشركون من أوثانكم التي لا تنفعكم ولا تضركم، ولا تدفع عن أنفسها ولا عن أوليائها سوءًا، ولا تجلب إليها ولا إليهم نفعًا؟ إن هذا الأمر لا يشكل على من له عقل، فكيف تستجيزون أن تشركوا عبادة من لا نفع عنده لكم، ولا دفع ضر عنكم في عبادة من بيده النفع والضر، وله كل شيء[16]. وفي سورة المؤمنون ذكر القرآن الكريم أنه لو تعدد الآلهة لتفرّقوا في الإرادة ولعلا بعضهم على بعض، وبيّن أنها إذا تفرقت لم تكن آلهة: ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [المؤمنون:91].

وورد في القرآن آيات تحمل مفاهيم المقارنة، مثل المقارنة بين التّوحيد والتّعدد فيما يتعلق بخالق الكون، ثم الإشارة إلى أنه لو تعدد الحقّ المتعالي لفسد الكون، كقوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا ءالِهَةٌ إِلاَّ اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ

---

[15] الطبري، **جامع البيان**، ج12، ص219.

[16] المصدر السابق، ج12، ص219.

الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الأنبياء:22]. وكذلك المقارنة بين الخالق الأعظم – سبحانه عما يقولون علوًّا كبيرًا– وبين ما يعبده المشركون من أصنام وأوثان من حيث الخالقيّة والقدرة، كما في قوله تعالى: ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لاَّ يَخْلُقُ أَفَلا تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل:17]. والإشارة إلى أن الخالق الأعظم لا يمكن أن يماثله هذا النوع من الآلهة العاجزة التي لا تسمع ولا تغني من جوع.

وسواء أكانت المقارنة في تعدد الآلهة وتنوعها مقابل وحدانيّة الله تعالى، أم ضعف الآلهة وعجز الأصنام التي يعبدها أهل الشرك مقابل قدرة الله تعالى وخالقيّته، فإن هذه الآيات تشير أيضًا إلى إمكانية دراسة المعتقدات الدينيّة، لا لأنها متساوية بل من أجل معرفة الحق والاهتداء إلى الصواب ثم الدعوة إليه.

خامسًا: تضمن حديث القرآن الكريم عن الأديان وأصحاب المعتقدات مصطلحات ذات مغزى معرفيّ وفكريّ، تشير إلى المستويات المتفاوتة للتنظيمات السّلوكيّة والاجتماعيّة للمجتمعات الدينيّة، مثل: الملّة، والنحلة، والشرعة، والمنهاج، والمنسك، والحنيف والأمة[17]، ولكل واحد منها معنى يخصها وحقيقة توافقها.

إن هذه المفاهيم (الكتب، والصحف، والإيمان، والعبادات، والشرائع، والمناهج والمناسك، والملّة، والنحلة، والشرعة، والمنهاج، والمنسك، والحنيف والأمة)، التي أوردها القرآن الكريم حول الفكر الدينيّ وسلوك المجتمعات الدينيّة، تحمل في طياتها مفاهيم أساسيّة ومداخل أوليّة لعلم مقارنة الأديان، وأهمها:

أولاً: وجود التّنوع الثقافيّ بين المجتمعات البشريّة من حيث السلوك الفكريّ، ومن حيث النّمط الاجتماعيّ؛ حيث وصف القرآن بعضًا من هذه

---

[17] لمزيد التفصيل عن هذه المصطلحات ومضامينها المعرفيّة والفكريّة في القرآن الكريم، راجع كتابنا: **علم مقارنة الأديان من منظور إسلامي: المفهوم والمنهج**، الذي سيرى النور قريبًا–بإذنه تعالى–، ص 120 وما بعدها.

السلوكيّات الاجتماعيّة بـــ: "ملّة"، وبعضها "دين"، وبعضها الآخر وصفها بـــ: "أمة"، مع الإشارة إلى وجود فروق جوهريّة بينها في السلوك الاجتماعيّ، والمناسك والعبادات، أو الأحكام والشرائع، وهو أمر قابل للدراسة والبحث.

ثانيًا: إن ذكر ألفاظ، مثل: "الكتب" و"الصّحف"، وذكر لفظ التّنْزيل بعدهما أو نسبة تلك الألفاظ إلى الله في بعض الحالات، أمر يستوجب البحث عن طبيعة تلك الكتب ومعرفة ما تضمنته من تعاليم ربانيّة، ثم معرفة ما لحقها من لوث وزيغ بيد المجتمعات التي كانت تدين بها، من خلال دراسة التراث الدينيّ للمجتمعات البشريّة.

ثالثًا: إن حديث القرآن عن الحق والباطل في مجال المعتقدات والفكر الدينيّ، والتأكيد على أن الحق (الله) واحد، وهو الذي بيده الأمر والخلق دون غيره، أمر يستوقف الذّهن البشري ويطالبه بالبحث والدراسة من أجل تمحيص الحق عن الباطل في العقائد الدينيّة الأخرى، ومن أجل الوصول إلى حكم موضوعيّ يطمئن إليه القلب عن الأديان الأخرى ومعتقداها من غير اللجوء إلى التعميمات غير العلميّة.

رابعًا: إن تأكيد القرآن لوحدة الفكر الدينيّ والوحدة الرساليّة للهدي الرباني من عهد آدم ﷺ، يوحي بضرورة الفحص عن مواضيع التّشابه والتّمايز بين الموروثات الدينيّة، من أجل الاهتداء إلى أماكن الزّيغ والضّلال، ومعرفة التّحريفات التي طالتها عبر العصور وغيرت مسارها الفكريّ والعقديّ.

منطلقات التّعامل مع الآخر وتراثه العقديّ

حثّ الإسلام المسلمين على تنظيم علاقات اجتماعيّة وثقافيّة مع غير المسلمين على أساس من التّعايش والاتصال الثقافيّ، وعلى أساس الاحترام المتبادل، وحرية العقيدة. وهذه الدعوة تنطلق من رؤية الإسلام إلى نفسه بأنه

نداء عالميّ، من حيث إنه يخاطب الفطرة الإنسانيّة جملة ومن غير استثناء. فالله تعالى رب العالمين جميعاً بلا تخصيص بفئة عرقيّة معيّنة، والخطاب القرآنيّ جاء موجهًا للناس جميعًا: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الانبياء:107]، كما أنه يمثل ﴿ذِكْرَىٰ لِلْعَالَمِيْن﴾ [الأنعام:90]. هذه الآيات وغيرها تفيد أن التّعاليم التي يقدمها القرآن الكريم موجهة للإنسانيّة جمعاء، ليس فقط الذي آمن بها، بل إنها تخاطب أولئك الذين لم يؤمنوا بها. ويترتب على ذلك بصورة تلقائية أن يتحمل المؤمن بهذه الرسالة (المسلم) مهمّة إيصالها للآخرين (الدّعوة)، وهي في الأساس عبارة عن تواصل حضاريّ وثقافيّ مع الآخر. فالإسلام في حد ذاته (فتح) من الله ورحمة، فإذا آمن بها شخص فلا بد أن (ينفتح) بها على الآخرين، وكأن الإسلام يطلب من المسلم أن يكون وسطًا شفافًا ينقل الهدي للآخرين، لا وسطًا عازلاً يمتص ويحترق كما تفعل المعادن الرديئة في الإيصال الكهربائي[18].

وبهذا يكون المسلم بحكم معتقده إنسانًا (عالميًّا) يستنكف عن عمليات التّمييز العرقيّ والتقوقع الثقافيّ والمصلحيّة القوميّة. وغني عن القول أن انفتاح المسلم على الآخرين هو انفتاح المجادلة بالحكمة والموعظة الحسنة اللّتين يؤكدهما القرآن وتتأكد بهما الطبيعة السلميّة للدعوة[19]. وبما أن وسائل الإكراه والقهر ليست من طرق الدعوة إلى الدين الحنيف، فإن عمليّة التّواصل الحضاريّ والثقافيّ مع الآخر تبدأ بالتّعايش السلميّ والتفاهم المشترك (mutual understanding and peaceful co-existence)، وقد تتطور هذه العلاقة إلى التّداخل الثقافيّ والتزاوج الاجتماعيّ، من حيث: ﴿لا يَنْهَاكُمُ اللهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ

---

[18] عبد القادر التيجاني، "النموذج التفسيري لعلاقة المسلمين الخارجية" (**مجلة التجديد**، العدد الخامس، 1999م)، ص83.

[19] المرجع السابق، ص83.

يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [الممتحنة:8]. ومن باب قوله تعالى:﴿وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَا ءاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلاَ مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ﴾ [المائدة:5]. وعليه شرّع القرآن الكريم منطلقات منهجيّة وسلوكيّة لعمليّة التواصل الحضاريّ مع الآخر:

أولاً: إن الأساس الأول للتواصل مع الآخر هو مبدأ: ﴿لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ [البقرة:256]. وحرية الاعتقاد، حيث إن العقيدة لا يمكن الإكراه عليها، بل يجب أن تتمّ عن طرق القناعة والرضا. ووظيفة الدّاعية أو المسلم الدعويّة تنحصر في مواصلة التّواصل الثقافيّ، والفكريّ، مع الآخر (الإبلاغ) دون تسلّط على الآخر[20]. وذلك لو أراد الله سبحانه أن يجعل الناس على عقيدة واحدة لفعل؛ ولكن قدرة الله تعالى شاءت أن يكونوا مختلفين في العقيدة والفكر[21]. ومجموع الآيات القرآنيّة الواردة في مجال الحرية الفكريّة والعقديّة تؤدّي إلى نتيجة واحدة تتلخص في النهي عن إكراه أحد على الدخول في دين الإسلام، لكونه (الإسلام) واضح جليّ، دلائله وبراهينه لا يحتاج إلى أن يكره أحد على الدخول فيه؛ ومن أجل ضمان التواصل الحضاريّ مع الآخر يقرّ الإسلام:

1. باستقلال الإنسان في عقيدته وتفكيره وشخصيّته ومعيشته، مع توجيه الاهتمام إلى جوهر الإنسان ذاته من روح وعقل وخلق وفضيلة.

---

[20] يقول سبحانه وتعالى لنبيه ﷺ: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ﴾ [الغاشيّة: 21-22].

[21] كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى فَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأنعام: 35]. وقوله: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلاَّ مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [هود: 118-119].

2. بحرية الفكر والعقيدة؛ حيث تحول تلك الحرية دون تسلّط فرد أو جماعة على أخرى، لكن يطلق الإسلام الفطر من عقالة ودعاه إلى التدبر، ولكل إنسان أن يعتنق ما يشاء وليس لأحد أن يحمله على ترك معتقده.

3. بحق المساواة في الإنسانية حيث كانت المجتماعات البشرية التي سبقت الإسلام، تعيش على الفوارق الطبقية والعصبية للشرف والعرق، والمفاضلة بين الغني والفقير، ومن ثم اهتم الإسلام بالقضاء على النظام الطبقيّ والاستعلاء على المنافسات الجنسية والشعوبية[22].

ومبدأ حريّة الاعتقاد بوصفه أساساً للتّواصل الحضاريّ مبدأ تكرر في الموايثق التي كتبها الرسول لأصحاب الدّيانات الأخرى، مثل نصارى نجران: "ولنجران وحاشيتها جوار الله وذمة محمد رسول الله على أموالهم وأنفسهم وملتهم..."[23] وكتب لعامله في اليمن: "ومن كان على نصرانيته أو يهوديّته فإنه لا يرد عنها"، وغير ذلك من المعاهدات والمواثيق النّبويّة.

وعندما أسّس الرسول ﷺ الدّولة الإسلاميّة الأولى في المدينة لم يتعرّض اليهود المقيمين في المدينة بسوء من قبل الأغلبيّة المسلمة، بل عقد المصطفى ﷺ

---

[22] أنور الجندي، **الإسلام نظام مجتمع ومنهج حياة** (القاهرة: دار الاعتصام، ط1، 1979م)، ص39.

[23] لما جاء وفد نصارى نجران أنزلهم الرسول ﷺ في المسجد، ولما حان وقت صلاتهم تركهم يصلون في المسجد فكانوا يصلون في جانب منه، ولما حاوروا الرسول ﷺ، حاورهم بسعة صدر ورحابة فكر وجادلهم بالتي هي أحسن. ومع أنه أقام الحجة عليهم إلا أنه لم يكرههم على الدخول في الإسلام بل ترك لهم الحرية في الاختيار. وقد لبثوا عنده أيام يحاورهم في أمر عيسى عليه السلام ووحدانيّة الله تعالى، وقرأ عليهم بعض آيات القرآن في سورة آل عمران: 59-61، وأبوا أن يقرأوا، ثم دعاهم إلى المباهلة واستعد رسول الله للمباهلة، لكن رئيسهم وهو شرحبيل بن وداعة رفض المباهلة كما رفضوا دخول الإسلام، ونزلوا على حكمه ﷺ، فصالحهم رسول الله ﷺ على الجزية، وكتب لهم بذلك كتابًا. (لتفاصيل أوفى عن هذا الحدث. انظر: ابن هشام، **السيرة النبوية** (بيروت: دار الكتاب العربي، ط5، 1996م)؛ وابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج1، ص368-369؛ ومحمد سعيد رمضان البوطي، **فقه السيرة النبويّة** (بيروت: دار الفكر المعاصر، ط1، 1994م)، ص318.

معاهدات معهم تكفل للجميع حرية العيش بسلام وأقر الحريّة الدينيّة للجميع، حتى نقض اليهود تلك المعاهدات فيما بعد[24]. ثم لما قدم نصارى نجران إلى النبي ﷺ في المدينة فإنه عليه الصّلاة والسلام أحسن معاملتهم ورحب بهم، وقد صلّوا في مسجده ﷺ إلى المشرق، فلم ينكر النّبي ﷺ عليهم ذلك[25].

ثانيًا: إن الاختلاف في الدين لا يعني ضرورة الاقتتال والاعتداء على الآخر ماديًّا ومعنويًّا. أي أن علاقة المسلم بغيره مبنيّة على تبادل المصالح وتوطيد الصّلات البشريّة وتحسين المعاملات. فالاختلاف في الدين لا يحول دون التّعامل مع الآخر والتّعايش معه بالتي هي أحسن، بل قد تكون وسيلة للتّعارف وتبادل الخبرات الإنسانيّة في مجال الحياة، وتبادل المصالح المشتركة من بيع وتجارة. وعليه أحل الله للمسلمين أكل طعام غير المسلمين (أهل الكتاب) والزّواج من المحصنات من اليهود والنصارى[26].

يقول أحمد شلبي معلقًا على هذا الأمر: إن الإسلام يهتم اهتمامًا كبيرًا بالمعاملة فيه، ومن القواعد التي وضعها الأصوليون أن حقوق الله مبنية على التّوبة وحقوق النّاس مبنية على المسامحة، فإذا قصر مسلم في حق من حقوق الله فإن التوبة تغفره وعفو الله قد يشمله، ولكن إيذاء النّاس لا يغفر إلا إذا عفا

---

[24] كان يهود بنو النضير وبنو قريظة من أوائل اليهود الذين نقضوا العهد مع المصطفى ﷺ، حيث حاول بنو النضير قتل الرسول ﷺ بإلقاء صخرة عليه، فأنبأه الله تعالى بذلك عن طريق جبريل، فحاصرهم المسلمون عشرين يوماً حتى طلبوا الصلح، وتمّ إجلاؤهم عن المدينة. وحرّض بنو قريظة المشركين على المسلمين في غزوة الخندق، وبعد انتهاء غزوة الخندق وانصراف الأحزاب من قريش وغيرهم من المدينة إلى ديارهم، حاصر المسلمون بني قريظة ما يقارب أسبوعين حتى استسلموا. البوطي، **فقه السيرة النبويّة**، ص190.

[25] ابن هشام، **السيرة النبوية**، ج4، ص851.

[26] قال تعالى: ﴿وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَا ءاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلاَ مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ﴾ [المائدة: 8].

النّاس، فرد الحقوق شرط أساس لقبول التّوبة، وحسن المعاملة بكل ما تحتمله الكلمة من معنى، أصل من أصول الإسلام، بل أصل مهم جداً فالإسلام ينظم علاقات الإنسان بالإنسان على أسس من الحب والعدالة، مع ضرورة اتباع القيم الإسلامية في البيع، والشّراء، والميراث، والزّواج، والطّلاق، والهبة وغيرها، ومع اتباع آداب الإسلام في معاملة الناس ومع الإخلاص للعمل، والتضامن في آداب الواجب، والبعد عن إيذاء الناس، كل هذا وما يماثله أجزاء مهمة من الدين الإسلامي، ولا يكمل الدين بسواها[27].

ثالثًا: الابتعاد عن الجدل السلبيّ؛ يُذَكِّر الإسلام أتباعه بضرورة الاتصال الثقافيّ والمعرفيّ مع الآخر، والتّعرف عن قرب على عاداتهم وتقاليدهم وأديانهم، عن طريق الحوار والمجادلة بالتي هي أحسن، مثل قوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [النحل: 125]، مع ضرورة الالتزام بضوابط منهجيّة في إصدار الأحكام القيميّة على المعتقدات الأخرى.

وعليه يُذَكِّر الإسلام أتباعه بضرورة الابتعاد عن الجدل السلبيّ الذي يفيد التّحامل على الآخر، وإصدار القرارات أو الأحكام المسبقة على المحاور ومعتقده؛ أما الجدل الحسن الذي أشارت إليه الآية، يعني في أبسط صوره أن تُرِيَ محاورك ما لم يره، وأن يريك ما لم تره، ويقوم على إدراك المحاور أن ليس كل ما يراه قطعيًّا نهائيًّا في كماله وإصابته مفاصل الصواب ومقاطع

---

[27] أحمد شلبي، **مقارنة الأديان: الإسلام** (مكتبة النهضة المصرية، القاهرة. ط8، 1988م)، ص170.

الرشد، وأنه من خلال الحوار يستطيع أن يضيف شيئًا إلى ما عنده في صورة إثراء، أو في صورة تغيير وتبديل[28].

وهذا يتمّ من خلال المدارسة العلميّة والمعرفيّة للأفكار العقديّة والثقافيّة، وفق ضوابط شرعيّة، منها:

رابعًا: مواصلة الحِجَاج العقلي والمجادلة بالتي هي أحسن مع الآخر بنيّة حسنة تهدف الوصول إلى الحق، وهو ما تضمن قوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل:125]. وقوله تعالى: ﴿وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا ءامَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [العنكبوت:46].

خامسًا: الإنصاف مع الآخر في الحوار ودفعه إلى التأمل والتّفكير، وإعطائه الفرصة لكي يراجع حساباته الفكريّة والعقديّة، مما يعني ضرورة التّواصل مع الآخر برفق وأناءة، كي يستبين الحق ويدرك الحقيقة، كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ قُلِ اللهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلالٍ مُّبِينٍ﴾ [سبأ: 24].

سادسًا: المتاركة والتعايش مع الآخر إذا لزم الأمر، مما يفسح المجال للتعايش أصحاب الديانات المختلفة دون إضرار بهم، ومن غير إلجاء لهم أو إكراه، كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ لا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ وَلا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ وَلا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ وَلا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ [الكافرون:1-6]. فالسّورة تأمر الرسول ﷺ: "أن يخاطب الكافرين

---

[28] عبد الكريم بكار، **فصول في التفكير الموضوعي** (بيروت: الدار الشاميّة، ط1، 1993م)، ص214-215.

ويبين لهم أن الدين لا مساومة فيه ولا تنازل عنه، فكل إنسان وما اعتقد ويتحمل مسؤولية اعتقاده"[29].

سابعًا: الخوض في الحوار مع الآخر دون مسبّة ولا بذاءة مع المخالف، وبدون الاستهزاء بمعقداتهم، وعدم التّهكم على معتقدات الآخرين أو مقدساتهم، مهما يكن نوعهم من أصنام وتماثيل وغيرها، كما في قوله تعالى: ﴿وَلاَ تَسُبُّواْ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللهِ فَيَسُبُّواْ اللهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام:108].

ثامنًا: ضرورة التّأهيل العلميّ والثقافيّ من خلال التّعلم من أساليب الحجاج المنطقيّ، لكي يتمّ الحوار عن وعي وإدراك للمادة التي يدور عليها الحوار (المعتقدات الدينيّة). فالحوار الدينيّ باعتباره وسيلة دعويّة مطلوبة في الإسلام، وهو أمر فعله المصطفى صلى الله عليه وسلم، مع نصارى نجران وغيرهم، كما فعله الأنبياء السّابقون مع أقوامهم، كنبي الله إبراهيم مع نمرود[30]، ونوحًا مع قومه، حتى قالوا: ﴿يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [هود:84]، وشعيبًا مع قومه حتى قالوا: ﴿يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلاَ رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ﴾ [هود:91][31]، ونبي الله موسى عليه السلام مع فرعون حتى

---

[29] أحمد المسير، **المدخل لدراسة الأديان**، ص130

[30] قال تعالى في قصة نبي الله إبراهيم مع نمرود: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَآجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رِبِّهِ أَنْ ءاتَاهُ اللهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: 257].

[31] وتكملة الآية هي: ﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْباً، قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوْا اللهَ مَاْ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَلا تُنْقِصُوْا الِمكْيَاْلَ وَالِميْزَاْنَ إِلَى أَرَئكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّيْ أَخَاْفُ عَلَيْكُمْ عَذَاْبَ يَوْمٍ مُحِيْطٍ وَيَاْقَوْمِ أَوْفُوْا المِكْيَاْلَ وَالِميْزَاْنَ بِالْقِسْطِ وَلا تَبْخَسُوْا النَّاْسَ أَشْيَاْءَهُمْ وَلا تَعْثَوْا فِيْ الأَرْضِ مُفْسِدِيْنَ بَقِيَتُ اللهِ خَيْرٌ لَكُمْ وَمَاْ أَنَا عَلَيْكُمْ

توعده فرعون في نهاية الحوار بالسجن والعقاب[32]، وكل هذه الحوارات خاضها الأنبياء مع التزامهم بأخلاقيات الحوار ابتداءًا من الاستماع للآخر، مرورًا بالالتزام بأدب الحوار، وانتهاءًا بفهم عميق للموضوع.

تاسعًا: عدم التجاوز في حق الآخرين حتى ولو تجازوا الحدود، من باب قوله تعالى: ﴿وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُواْ اعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾ [المائدة:8]، بل العدل في كل الأوقات والأحوال.

الخاتمة

لا شك أن تضمن حديث القرآن عن المكونات الأساسيّة والظاهريّة للأديان والمجتمعات الدينيّة من عقائد، وشرائع وأنماط الحياة (المنهاج) السلوكيّة، ثم ذكر القرآن الكريم أصحاب الديانات، وأسس التّعامل وضوابط التّواصل مع الآخر، له مغزى معرفيّ وإيمانيّ. المغزى المعرفيّ -في رأينا- يتمثل في حثّ المسلمين على اكتساب المعرفة الضروريّة عن الفكر الدينيّ، وطرق التّعامل مع أهل الأديان الأخرى. بينما المغزى الإيمانيّ يتمثل في إرشاد المؤمنين إلى الدّين الحق من خلال المقاربة التقابليّة بين الحق والباطل، ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم بالمبادئ الإسلاميّة.

بِحَفِيْظٍ قَالُواْ يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلاَ رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ﴾ [هود: 84-91].

[32] قال تعالى: ﴿قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ الْكَافِرِينَ قَالَ فَعَلْتُهَا إِذًا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلا تَسْتَمِعُونَ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءابَائِكُمُ الأَوَّلِينَ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ، قَالَ فَأْتِ بِهِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ﴾ [الشعراء: 18-32].